Coptology
Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

المسيحُ خبزُ الحياة

دكتور
جورج حبيب بباوي

٢٠٢٣

www.coptology.org

مقدمة[١]:

في العهد الجديد، وبالذات في إنجيل يوحنا، هناك لغة تشبيهية يبني عليها الرب يسوع المسيح نفسه فكرة أساسية، ومن ثم يصوغ لها مجموعة من التطبيقات للتوضيح. ولذلك لا نستطيع أن نفهم هذه اللغة بمعنى حرفي، إنما يجب أن نفهمها بمعنى روحي. وهنا يجب أن يكون واضحًا أن كلمة "روحي" تعني شيئًا حقيقيًّا، وليس مجرد فكرة أو خيال. وإلى هذه القاعدة تنتمي عبارة "أنا هو خبز الحياة مَن يُقبل إليَّ فلا يجوع ومَن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا". الكلام عن الخبز هنا واضح وصريح، لكن بالرغم من عدم ذِكر المياه صراحةً، إلا أنها متضمَّنة في ذِكر العطش. إذن، الخبز والمياه في مقابل الجوع والعطش. فالرب يسوع المسيح يقول إنه كما أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بدون خبز ومياه، كذلك لا يستطيع أن يحيا روحيًا بدون المسيح. فكما أن الجسد له ما يُقيته، كذلك الروح أيضًا لها ما يُقيتها. الروح لا تستطيع أن تعيش على الأمور المادية الحسية، لأنها تتنافى مع طبيعة الروح، ولكن يجب أن تأكل الروح الطعام الروحاني، ومن هنا جاءت المقارنة بين الإفخارستيا وبين المن. فجميع الذين أكلوا المن ماتوا في النهاية. وقد ماتوا بالمعنيين؛ المعنى الجسدي، ويقول عنه القديس بولس الرسول إن الذين أكلوا المن طُرِحَت جثثهم في القفر، وأيضًا ماتوا بالمعنى الروحي، لأن كل الذين أكلوا المن لم يدخل منهم أحدٌ أرض الموعد بسبب عدم الإيمان. ولذلك، الكلام عن الإيمان هنا مهم وضروري، لأن

---

(١) تفريغ وإعادة صياغة لمحاضرة بعنوان "المسيح خبز الحياة" ألقاها الدكتور جورج حبيب بباوي في مؤتمر أسرة القديس كيرلس عمود الدين الإكليريكية المنعقد بالإسكندرية في الفترة من ٣ إلى ٧ يوليو ١٩٨١.

الإنســان لا يســتطيع أن يصــل إلى المســيح بدون إيمان، ولا يســتطيع أن يتناول الإفخارستيا بدون إيمان. **فالإيمان هو المدخل الوحيد للمسيح.**

أهمية التمييز بين ما هو أسمى وأقل:

ويجب أن ننتبه إلى أن المســيح لم ينفي أن الجســد يحيا بالخبز، لأنه قال عن الناس الأشـرار، إن سـألك ابنك خبزًا أفتعطيه حيةً؟ إذن، المسـيح لم ينفي أننا نحتاج إلى الطعام البائد الذي يجب أن نأكله لكي نحيا، ولم يصنع تعارضًا بين الطعام البائد والطعام الباقي، إنما طلب أن يُخضِـع الأسمى الأقل؛ أن الطعام الباقي يُخضِـع الطعام البائد، وأن كلمة الله التي يحيا بها الإنسان تُخضِع حاجة الإنسان إلى الخبز. ولذلك، في التجربة على الجبل حينما طلب منه الشــيطان أن يحول الحجارةً خبزًا، قال له المسيح إن الإنسان يحيا بكلمة الله، وهو ما يعني أن تعلُّم الإنسان طاعة الوصية أهم من البحث عن طعام الجسد. **فإن الأسمى يُخضِع الأقل**. وهذه هي النقطة الأساسية التي يجب أن تظهر في المناهج التربوية، بمعنى أن لا يكون هناك فصــلٌ بين الجســد والروح، وإنما نعلِّم بخضــوع الجســد للروح، وليس الفصــل بين الجســد والروح. وقد اســتغل الرب يســوع المناسـبة، قائلاً لهم إن الخبز الذي يجب أن تأكلوه لكي تحيوا حياةً أبديةً هو الخبز النازل من الســـماء، والذي يختلف تمامًا عن المن الذي أكله آباؤكم ومــاتوا. وعبــارة "آباؤكم أكلوا المن ومــاتوا" جــاءت مرتين على الأقــل في الإصـــحاح، وكل مَن يأكل مِن هذا المن يموت، وها أنا أعطيكم المن الحقيقي الذي مَن يأكله لا يموت وأنا أقيمه في اليوم الأخير. هذا المن الحقيقي هو جسدي.

وهنا واضــح أن اليهود فهموا الجســد بمعنى الناســوت، بمعنى اللحم والدم

الظاهر، وهذا حقيقي، لأننا لا نستطيع أن نفصل ابن الله عن جسده، وإلا نكون قد نفينا الخلاص إذا حدث فصلٌ بين اللاهوت والجسد. ولذلك قال لهم المسيح إن الجسد لا يفيد شيئًا، حتى جسده هو، وإنما الروح الموجود في هذا الجسد، لأن جسد المسيح إن لم يكن جسد ابن الله، أي إن لم يكن متحدًا باللاهوت، لا يصير جسدًا "محييًا" فيه مصدر حياة. نحن لا نأكل الناسوت لكي نتغذى، أي نأخذ كمًّا معيّنًا من المواد البروتينية وكذا مواد دهنية وكذا مواد معينة وما إليه. المسيح لم يأتِ ليقدم للإنسان خبزًا للتغذية، وإنما لكي يعطه خبزًا يأكله الإنسان فيحيا به هذا الإنسان، وهنا نناقش أربع نقاط أساسية:

١– إن هذا الخبز هو عطاءٌ من الله، الخبز النازل من السماء الواهب حياةً للعالم، وهذا هو ما يجعل الكاهن في أول القداس يمسك القربانة ويرفعها، هذه حركة طقسية تعبِّر عن عبارة إنجيل يوحنا "هذا هو الخبز الحي النازل من السماء" وكون أن هذا الخبز النازل من السماء يظهر ملفوفًا باللفافة، يعنى أنه لم يظهر كنهه بعد، وهو ما سيُعلن في صلوات القداس نفسه. ويضع الكاهن خلفه الصليب في طقسٍ مستتر، يظهر بالتدريج، وينكشف من خلال الصلوات والقراءات. فهذا الخبز هو عطية، هذه العطية هي هبة الله.

٢– إن هذه العطية معطاة لكي يأخذها الإنسان. الله يعطي والإنسان يأخذ. من الضروري للإنسان أن يأكل، وإلا لن يعيش. ولذلك يشدد المسيح على أن الذي لن يأكل منه لن يحيا، لماذا؟ لأنه يعتبر هنا رافضًا للعطية. وهذا أمرٌ ثابتٌ في الكتاب المقدس؛ إذا رفض الإنسانُ العطية التي يعطيه إياها الله، يموت، فلا ينفع البحث عن طريق آخر إلا الطريق الذي حدده الله.

النقطة الأساسية هنا، ليست هي أن الله متجبر ومستبد وعندما يضع شرطًا يجب على كل البشر أن يخضعوا له، أبدًا، وإنما الأمر يتعلق بأن عطية الله هي عطية حياة، فالله مصدر الحياة، فإذا رفض الإنسان الحياة، عليه أن يتحمل نتيجة قراره. الرفض هو رفض هبة الله.

معاني مختلفة لكلمة حياة:

كلمة "يحيا" لها ٣ معاني. في اللغة اليونانية هناك ٣ كلمات مهمة جدًا؛

(١) كلمة βίος بايوس والتي جاءت منها كلمة بيولوجي، وتترجَم "حياة" بالعربية فيما ندر، ولكن تُستخدَم كلمة "معيشة" أو "عيش"، فالمرأة الأرملة قيل عنها إنها ألقت كل معيشتها βίος بايوس، وهي هنا تعني الحياة الإنسانية العادية في شكلها البسيط.

(٢) كلمة Ζωή زوي، المقصود بها الحياة الأبدية، أينما استُخدِمَت مقصود بها الحياة التي هي من عند الله، هي عطية من الله، وليست هي الحياة اليومية العادية، هذه حياة أعلى كثيرًا من الحياة العادية، لكنها تُعطى هنا في الأرض، وتُعطى في الإناء الخزفي الضعيف الذي نحيا فيه "إذ لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية ليكون فضل القوة من الله لا منا" (٢ كو ٤ : ٧).

(٣) ابسيكوس ψυχικός أي حياة النفس، نادرًا ما تُستخدَم عن هبة الله. ولكن توجد كلمة مرتبطة بكلمة Ζωή زوي، وهي كلمة πνευματικός بنفماتيكوس، أي روحي، وتختص بالكلام عن المجال المرتبط بالحياة الآتية من عند الله. كلمة "بالروح" لا تعني المرتبط بالحياة العادية التي تنحصر في النفس والجسد، أي الحياة اليومية، حياة المعيشة. أما كلمة "ابسيكوس"، فهي تعني الحياة الإنسانية

العادية، وتقال عن الجسد أحيانًا وعن النفس أحيانًا أخرى، لا فرق بينها وبين βίος بايوس. الإنسان الذي أخذ Ζωή أي الحياة الأبدية، عندما يعيش على الأرض، يعيش الحياة التي تُسمى "بنفماتيكوس "أحيا لا أنا بل المسيح يحيا Ζή فيَّ" (غلاطية ٢: ٢٠)، أي الحياة المسيحية. "ابسيكوس" والفرق بين الكلمتين واضح بشكل كبير جدًا عند بولس في (١ كور ١٥: ٤٥) "صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً ψυχήν، وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا πνεύμα ζωοποιούν".

حياة آدم الأول وحياة آدم الثاني:

فرقٌ كبير بين نفسٍ حيَّةٍ تحيا بقدراتها الذاتية وحيَّةً بنفسها، وبين "روحًا محييًّا"، والتي تعني أن كيانه يتعدى ذاته إلى الآخرين ليحييهم. ليس في قدرة آدم الأول أن يُحيي الآخرين، إنما في قدرة آدم الأخير أن يعطي روحًا محييًا. "لكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أولاً بَلِ الْحَيَوَانِيُّ (أي الذي يحيا الحياة العادية جدًا "βίος")، وَبَعْدَ ذلِكَ الرُّوحَانِيُّ" (١ كور ١٥: ٤٦). هنا يركز القديس بولس على أن الحيواني يجيء أولاً، ومن ثمَّ الروحاني، بمعنى أن الحياة توجد على المستوى الحسي البسيط أولاً حتى يمكن أن تنتقل إلى المستوى الروحي، تمامًا مثل آدم الأول في المستوى الأول، والثاني على المستوى الروحي العالي عطية من الله. آدم الأول من الأرض ترابي، ولذلك من الضروري أن توجد في الحياة الترابية أولًا، ومن ثمَّ تنتقل إلى المستوى السماوي، إذا لم توجد ترابيًا لا توجد سمائيًا، ولذلك "ما يُعطى من الله يؤخذ في ذات الحالة التي عليها الإنسان"، وعلى ذلك، فإن قيمة محبة الله لنا تُقاس بأنه أدركنا في الوضع الذي كنّا نحيا فيه، ولم ينتظر أن نتطور لكي نصل إلى العطية. وهذه نقطة في منتهى الخطورة تميِّز المسيحية عن الإسلام.

حتمية الإيمان كخيار للحياة:

لما أعطى الله عطية للإنسان لم ينتظر حتى يُصلح حاله ويتوب، إنما أعطى له وهو مريض، متعَب لكي يصلحه هو. في إنجيل يوحنا، لكي أفهم الإفخارستيا والخبز النازل من السماء، يجب أن نفهم مرور شعب العهد القديم في تجربتين:

١– التجربة الأولى، وهي تجربة عبادة العجل الذهبي. هذا مستوى من الارتداد عن الله خطيرٌ جدًا، فبعد أن رأى الشعب الأهوال التي حلَّت بالمصريين؛ ضربة الأبكار وغرق جيش فرعون وعبور البحر الأحمر، كان من المفروض أن يقتني هذا الشعب إيمانًا خارقًا، لكن ما حدث هو أنهم طلبوا رؤية الله، طلبوا إلهًا يُرى، وبالتالي في غياب موسى طلبوا من هارون أن يصنع لهم تمثالًا حتى يكون لنا آلهة تمشي أمامنا كباقي الشعوب الأخرى. وكثير من الآباء قالوا إن الاسرائيليين أخذوا هذا الأمر عن المصريين الذين علَّموهم أن الآلهة تتقدم مواكب الملك والانتصار، ولذلك بعد أن نجى الإسرائيليون، واستتب أمرهم، أرادوا أن تتقدمهم الآلهة، باعتبار أن موسى وهارون لم ينتصرا بقدرتهما وإنما الأمر مردود للآلهة.

٢– التجربة الثانية، هي تجربة الخبز. فقد تذمَّر الشعب على موسى، وطلبوا أن يعيشوا كما كانوا عند قدور اللحم والكراث والثوم والبصل، وليس في البرية كما انتهى بهم الحال. طبعًا، التذمُّر هنا ليس على موسى بل على الله، **وهو يعني عدم قبول الوضع الذي يتطلبه الإيمان، وهذه أخطر تجربة يواجهها الإنسان في حياته الروحية. أحيانًا يُفرَض على الإنسان وضع ثقيل يجب أن يقبله ويرضى به لكي يعيش،** لا تقل أنا كنت عايش ... لكن مفضِّلًا عار المسيح على كل خزائن وغنى مصر، مفضِّلًا أن يُذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية، وهي

مسـألة ليسـت بسـيطة. **قبول الوضـع الذي يحتِّمه الإيمان، جزءٌ مهمٌ جدًا لنجاح الإيمان نفســه، وإلا الإنســان يفشــل.** المشــكلة هنا ليســت فقط هي عدم توفر الإيمان، وإنما عدم الرضا بما يحتِّمه الإيمان أيضًـا؛ أن أجوع في البرية طالما أنا مع الله، أقبل أن لا آكل نفس طعام مصر طالما أنني في النهاية سأنطلق لحرية مجد أولاد الله. كثير من الآباء المفسـرين ربطوا بين تجارب بني إسـرائيل في البرية وبين تجربة المسـيح على الجبل، أولهم أوريجينوس وآخرهم يوحنا ذهبي الفم، الذي يقارن بين فشـــل آدم كمثال، وفشل بني إسرائيل كمثال صارخ، فقال إذا كان الإنسان يمكن أن يتعثر في فهم مثال آدم، شــجرة وفردوس وحيَّة، كمثال غير واضــح، فكيف تتعثر في البرية؟ الشـــعب الذي رأى يد الله العزيزة والقوية في منتهى الوضـــوح، كيف يتعثر فيها؟ التجربة أمامه واضـحة، وبالرغم من ذلك يسـقط فيها. يقول ذهبي الفم "يسـير إلى الفخ وعينه مفتوحة لكي يسـقط فيه!" شـيء رهيب، لذلك الله لم يقبل –وهنا الأمر الخطير في الحدث– أن يدخل هذا الشـعب أرض الموعد، ليس لأن الله مسـتبد، إنما إذا كنتُ أنا قد رفضـت أن أعيش في ضـيق الإيمان مع الله، ورفضـت أن أعيش مع الله، فلو أخذت الحرية ولم يكن لديَّ إيمانٌ عميق من الداخل، ألا يعرضـــني ذلك للارتداد مرةً أخرى، وللتذمر لأن إيماني لم يتأصـل؟ **الذي لا يقبل الله في الضـيق لا يقبل الله في الحرية.** بولس البسيط في البستان قال: **الذي يهرب من الضيقة يهرب من الله،** يقولون إنه عاش ٦٤ ســـنة لم يقل غير هاتين الكلمتين. **إذا كان التذمُّر بسبب الإيمان، فإنه يصطدم مع الإيمان،** إنما إذا كان التذمر بسبب سوء الأحوال؛ من ظلمٍ واســـتبدادٍ، فمن الجائز أن يكون التذمُّر مطلوبًا، وإلا كيف نفهم أن الله يقول لموسى أنين شعبي وصل إلى أُذني؟ لا نستطيع أن نقول إن الأنين والألم الموجود

في أرض مصر بسبب استعباد المصريين كان نوعًا من عدم الإيمان، بالعكس، الله قَبِله وسَمِعه وجهَّز موسى لخلاص الشعب، **بمعنى نقبل ما يأتي علينا ونئن، لكن هذا الأنين لا يتحول إلى تذمر.**

الإفخارستيا؛ المن الحقيقي:

لكي يعطينا المسيح تشبيهًا واضحًا جدًا على عمل الإفخارستيا في الإنسان، قال "كما أرسلني الآب وأنا حيٌّ بالآب، هكذا كل مَن يأكلني يحيا بي" (يو ٦: ٥٧). مصدر حياة الابن هو الآب، فهو حيٌّ بالآب. مصدر حياة الإنسان هو الابن، ولذلك يوجد هنا أكثر من نقطة تتداخل معًا؛

(١) إن مصدر الحياة هو الآب.

(٢) وقياسًا على علاقة الآب بالابن، نفهم علاقة المسيح بالمؤمنين.

(٣) لا يمكن أن أعيش مع المسيح وفي الآب، إلا إذا كنتُ ابنًا. هنا يتضمن الكلام عن الآب والابن كلامًا عن التبني بكل وضوح "مَن يأكلني يحيا بي"، أي يحيا بي كابنٍ، لأن عدد ٥٨: "ليس كما أكل آباؤكم المن في البرية وماتوا"، يعني أنهم لم يكن لديهم طاعة الأبناء، إنما تذمُّر العبيد، وهذا غير محبة الأولاد. كذلك يجب أن ننتبه إلى أن طبيعة المن مختلفة، لأنه غير محيي إلى الأبد. ولذلك، فإن قبول العطية "الإفخارستيا" يعني أن يعيش الإنسان الحياة الأبدية. وهذا واضح من كلام المسيح وكلام القديس يوحنا عن الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرت لنا. عندما آخذ المسيح، أحيا إلى الأبد، وأحيا الأبد على ذات القياس الأول، أي أن مصدر حياتي هو الابن، وإذا انفصلت عن هذا المصدر، أموت.

الاتحاد بالمسيح:

ما معنى اتحادنا بالمسيح؟ ما معنى الاتحاد مع المسيح في الإفخارستيا؟ ما الذي يحدث باشتراكنا في الإفخارستيا، ولماذا حتى بعد الإفخارستيا نفسها يكون لدينا ضعف روحي، ما الذي يمكن أن نفعله حتى يبقى هذا الاتحاد فعالٌ.

كثيرًا ما نتكلم عن المسيح الذي فينا، دون أن نتكلم عن نحن الذين في المسيح. لأننا نحن الذين في المسيح، تُفرض علينا Zωή حياة أخرى مختلفة تمامًا عن الحياة اليومية التي نعيشها.

اتحادنا بالمسيح له أسباب وله أيضًا أهداف. أول سبب هو سقوط الطبيعة الإنسانية الذي أدَّى إلى أن يضع الله رأسًا ومصدرًا للحياة الأبدية غير الإنسان. فلأن السقوط كان هو محاولة الإنسان أن يحتوي الحياة في ذاته، ولكنه فشل، وبالتالي فَقَدَ الحياة. هنا يوجد تعبيران عند آباء الكنيسة، والتعبيران يستندان إلى الكتاب المقدس؛ إن الله أقام **رأسًا جديدًا** أو غرس **جذرًا جديدًا** للإنسانية وهو المسيح، وهذا تعبير متواتر عند الآباء كلهم، لا سيما كيرلس السكندري، أي جذرًا تنمو منه الإنسانية التي لا يغلبها الموت. **فلما نقل الله مصدر الحياة ووضعه في المسيح أعطى بذلك ضمانةً وثباتًا لهذه الحياة بشكل يفوق العقل.**

سفر الرؤيا من الكتب التي نادرًا ما تُقرأ في البيوت أو الاجتماعات، ولكنه كتاب من الكتب المهمة في العهد الجديد، لأنه مبدئيًا يشرح بعض الحقائق المهمة عن الحياة في الدهر الآتي.

في رؤيا إصـــحاح ٢٢[١] كلام جميل جدًا، لأنه يأتي بعد الكلام عن نبوة الحياة الآتية في إصـــحاح ٢١[٢]. أهم ما يمكن أن نلاحظه في ســـفر الرؤيا هو أن أورشـليم الجديدة تمتاز بأن ليس فيها هيكل على الإطلاق، لأن الله سـيسـكن مع الناس وتكون المدينة كلها هي الهيكل، وليس عدم وجود الهيكل فقط، وإنما يجب أن ننتبه إلى أن هناك أيضًــا: "نهر صـــافي من ماء الحياة لامعًا كبلور خارجًا من عرش الله"، وبجانب النهر شـجرة الحياة. وقبل ذلك يقول "أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَـانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا".

إذن، يشتمل هذان الإصحاحان على بعض النقاط المهمة:

١– عدم وجود هيكل لأن الله سيسكن مع شعبه.

---

(١) "وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللهِ وَالْخَرُوفِ. فِي وَسَطِ سُوقِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ، شَجَرَةُ حَيَاةٍ تَصْنَعُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ثَمَرَةً، وَتُعْطِي كُلَّ شَهْرٍ ثَمَرَهَا، وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ لِشِفَاءِ الأُمَمِ. وَلاَ تَكُونُ لَعْنَةٌ مَا فِي مَا بَعْدُ. وَعَرْشُ اللهِ وَالْخَرُوفِ يَكُونُ فِيهَا، وَعَبِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ. وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ. وَلاَ يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ.... وَقَالَ لِي: «لاَ تَخْتِمْ عَلَى أَقْوَالِ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ.... أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ». طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الأَبْوَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، ... «أَنَا يَسُوعُ، أَرْسَلْتُ مَلاَكِي لأَشْهَدَ لَكُمْ بِهذِهِ الأُمُورِ عَنِ الْكَنَائِسِ. أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ». وَالرُّوحُ وَالْعَرُوسُ يَقُولاَنِ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَسْمَعْ فَلْيَقُلْ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا" (رؤ ٢٢).

(٢) "ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ. وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ». وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!». وَقَالَ لِيَ: «اكْتُبْ: فَإِنَّ هذِهِ الأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ». ثُمَّ قَالَ لِي: «قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا. مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا ... ثُمَّ جَاءَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّبْعَةِ الْمَلاَئِكَةِ الَّذِينَ مَعَهُمُ السَّبْعَةُ الْجَامَاتِ الْمَمْلُوَّةِ مِنَ السَّبْعِ الضَّرَبَاتِ الأَخِيرَةِ، وَتَكَلَّمَ مَعِي قَائِلًا: «هَلُمَّ فَأُرِيَكَ الْعَرُوسَ امْرَأَةَ الْخَرُوفِ». وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَل عَظِيمٍ عَال، وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ... وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلًا، لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا. وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخَرُوفُ سِرَاجُهَا".(رؤ ٢١).

٢- كل شـــيء يصـــدر من العرش الإلهي؛ ماء الحياة نابع من العرش، النور نابع من العرش. ويجب أن نلاحظ أن عرش الله هذا لا يسـمى بعرش الله فقط، وإنما هو عرش الله والحمل أو الخروف. وبالتالي الكلام هنا عن الملكوت. كلمة عرش = كلمة ملكوت، وقد صادفنا كلمة عرش أو كرسي قبل هذا في إنجيل متى: "السموات هي كرســي الله والأرض موطئ قدميه"، فهنا كل شـــيء في الدهر الآتي ســينبع من الملكوت. ولذلك نجدد هنا صـــورة شـــعرية جميلة "أن كل ما يخرج من الملكوت / العرش سيُصب في الناس"، وهذا هو الاشتراك الحقيقي في الملكوت، أي أن نشرب من نهر ماء الحياة النابع من عرش الله. وواضـــح هنا أن ســلطان الله على الحياة هو الذي يجعل هذه العطية، أي عطية الحياة هي عطية إلهية.

٣- "أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَـــانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا"، والعطش هنا تعبير عن احتياج الإنســان. نحن في الدهر الآتي ســنحتاج إلى المســيح، إلى ماء الحياة، وســنظل دائمًا في عطشٍ إلى الله. لكن هذا العطش ليس مثل العطش على الأرض، وإنما يختلف عنه في أكثر من نقطة؛

(١) الله سيسـكن مع الناس، هم يكونون له شـعبًا، والله نفسـه يكون لهم إلهًا، ما يعني أنه ليس عطشًا ناتجًا عن الفُرقة أو البُعد أو عدم رؤية الله، وإنما العكس هو الصحيح. لأننا سوف نرى الله (رؤ ٢٢: ٤) "وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ"، والاســـم الذي على الجبهة في العهد القديم هو علامة الملك[١]، ولذلك

(١)كان على الشخص الذي يريد أن يثبت ملكيته للخروف أو للقطيع، أن يضع علامة معينة على الخروف أو على كل أفراد القطيع بالحديد المحمى بالنار، وهذه العلامة كانت هي علامة الملكية. وهي ذات فكرة المسيح بالميرون المقدس، حيث يتم تخصيص الشخص الممسوح لله. وفي سفر الرؤيا نجد أن حتى الذين يتبعون التنين لهم علامة على الجبهة. إذن، ختم الميرون أو علامة الميرون التي أخذناها على الجبهة وعلى أعضاء الجسم المختلفة، هي العلامة التي سنُعرَف بها عند السمائيين، والتي نؤهَّل بها للدخول إلى مدينة الملك العظيم، أورشليم السمائية.

من يرى الله يعطش إليه كثيرًا. وهو أمر مختلف عن حالة الشبع الجسدي، كلما رأينا الله ستظل حاجتنا إلى الله دائمة، لن نشبع، بل كلما أخذنا سنظل نشعر باحتياج شديد إلى الله. الجمال العظيم الذي سنتمتع به سيجعلنا نشتاق أكثر فأكثر إلى الله. وهو ما يصنع الفرق بين العطش على الأرض والعطش في الحياة الأبدية؛ "وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قِائِلًا: "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ". قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ" (يو ٦: ٣٧ – ٣٩).

(٢) واضح هنا أن ماء الحياة الذي ينبع في الإنسان هو الروح القدس، فالنهر الذي في وسط المدينة هو الروح القدس، النهر البلور المنبثق من عرش الآب، الروح النابع الخارج من عرش الله، ولذلك يقول الآباء إن انسكاب النعمة في داخل الإنسان، هي رؤية الله. الشيء المهم في الحياة الروحية، هو أن ما يراه الإنسان يتحول فيه إلى أشواق شديدة جدًا في الداخل، الرؤيا تزيد المحبة اشتعالًا، والمحبة تُزيد في قلب الإنسان طلب الرؤية أكثر فأكثر بحسب تعبير مار يعقوب السروجي: "يرى فيُحب، يُحب فيشتاق إلى الرؤية"، ولذلك نحن سنشرب وستنبع فينا مياه حياة أبدية. ولكن في الكلام عن أورشليم السماوية؛ الروح القدس والعروس أي الكنيسة، يقولان تعال. بعض المفسرين قالوا إن العروس المقصودة هنا هي المسيح، لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدم الماء إلا المسيح. البعض الآخر يرى أن العروس هي الكنيسة لأن "من يسمع فليقل تعال" على أساس أن الدعوة هنا موجَّهة من الكنيسة لدعوة الناس للحياة الأبدية.

الله هو نفسه العطية مجانية:

"وَمَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا". عطية الماء هي عطية مجانية، وقد فسر كثيرون كلمة "مجانًا" على اعتبار أن المياه في الطبيعة ليست ملكًا لفردٍ معين، النهر لا يملكه أحد، تستطيع أن تشرب منه دون أن يمنعك أحد. ولذلك تتضمن كلمة "مجانًا" عدة أمور في الكلام عن العطية؛ أولًا هي ملك الله، وهذا صحيح لأنه هو الخالق، هو الذي يعطي، لكن هذا لا يلغي حرية الإنسان؛ من يريد الشرب فليشرب، لا حجر على النعمة المجانية، لأن النعمة أصلًا هي الله، وكلمة "مجانًا" هنا لها قيمتها العقائدية الخطيرة جدًا. لماذا العطية مجانية ولا مقابل لها؟ لأنها هي الله، فكيف يمكنك أن تُبادل الله بشيء أيًّا كان هذا الشيء؟ الأمر مختلف هنا عن المقايضة. النعمة مجانية لأنك لا تستطيع أن تقايض الله بأي شيء في الخليقة. ماذا تستطيع أن تقدم لله؟ سليمان بعدما بنى الهيكل المصنوع من تراب الأرض وأحجارها قال له: مِن يدك أعطيناك، وهكذا نعطي الله الخليقة كتقدمة شكر وتسبيح. ولذلك عندما تأخذ من الماء الذي ينبع من عرش الله لا تستطيع أن تبادل الله ما أخذته من نعمة.

والكلام عن أنه لا يوجد هيكل "وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلًا"، يعنى أنه لم يعد هناك شيءٌ يمنع الإنسان من رؤية الله. رغم أننا في العهد الجديد، وأننا في الكنيسة ندخل السماء، إلا أنه لا تزال هناك ستارة على باب الهيكل، تُفتح أو تُرفع، وكتب الطقس القديمة تقول إن الكاهن يفتح الستارة، وتُسمى الحجاب أو الستر، لأن الإنسان لم ينمو وعيه وفكره الروحي بعد إلى الدرجة التي يكون معها حيًّا في السماء بشكل مستمر.

إذن، العطية مجانية لأن العطية هي الله. النعمة هي الملكوت ويجب أن يكون هذا الأمر موضع اهتمام حياتنا الروحية لأننا في علاقتنا مع الله لا نبادل شيئًا بشيء، نأخذ مجانًا لأننا نأخذ الله نفسه، وعندما نأخذ الله نفسه يجب أن يكون التسبيح من كل القلب، ولذلك عندما سُئِل المسيح عن أعظم الوصايا قال: أحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك وقريبك كنفسك لأن هذا هو الناموس كله والأنبياء".

المحبة وأثرها على نظرتنا لله

غاية المحبة أن نأخذ الله، وأن نعيش في الله، ولذلك فإن صورة ماء الحياة يجب أن تحسّن نظرتنا لله، وتجعلنا نقبل هذه النعمة المجانية بتسبيحٍ وشكر. نقبلها لأنها قد وُهِبت لنا مجانًا، ونشكر عليها لأنها ستنبع في داخلنا إلى ماء حياة، ولذلك يجب أن تكون أشواقنا موجهة لأورشليم السماوية النازلة من عند الله. هي "ليست مصنوعة بيد"، أي لا تنتمي لهذه الخليقة، لذلك "السماء الأولى والأرض الأولى قد مضتا"، لم يعودا بعد من الخليقة المصنوعة من العدم، ولذلك، فإن أورشليم الجديدة –والكلام هنا لأكثر من واحد من آباء الكنيسة– ليست قيد البناء بعد، وإنما هي نازلة من عند الله، أي موجودة: "هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ"، وما يؤيد هذا، ما تفوه به استفانوس في أعمال ٧: ٨ عن أن الله لا يسكن في مصنوعات بالأيادي، كذلك فإن ما ذكره معلمنا بولس الرسول في العبرانيين عن "الْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هذِهِ الْخَلِيقَةِ" (عب ٩: ١١)، يبدو أكثر وضوحًا بشكل كبير جدًا في الرؤيا، لأن المسكن الثاني الذي سنسكنه ليس مصنوعًا بيد، أي ليس من هذه الخليقة. لذلك يجب أن نفهم معنى الكلمات

الشعرية الموجودة في الرؤيا. ما يريد الرسول أن يقوله هو أن سكنى الله مع القديسين هي حضـور الله الكامل في المؤمنين، وهذا هو ما يجعل الله يُشبِع ويسكن ويُرى، وكلها أوصاف متعددة لحقيقة واحدة وهي أنه لن يكون بين الله والإنسان حجاب.

وإذا كانت السماء هي كرسي الله والأرض موطئ قدميه، أي المكان الذي يستقر عليه عرش الله أو العرش السماوي، فليس هناك فرقٌ بين هذه الصورة، وصورة السماء الجديدة والأرض الجديدة، التي هي أورشليم السمائية، وإنما المعنى الذي يجب أن نلتفت إليه هو أننا لن نقف على خليقة مصنوعة من العدم، وإنما سنعيش مع الله، ومكان استقرارنا مع الله هو المكان الذي يستقر فيه الملك الإلهي "أنا هو الألف والياء البداية والنهاية"، الأمر الذي يعني أن الإنسان سوف يدرك أنه سيعيش في الخليقة التي لا تنتمي للعدم، وإنما العطية أو الهبة المجانية التي ستؤخذ من الله مباشرةً.

كل هذه الصور والرموز الخاصة بالحياة، التي في وسطها النهر، والهيكل الجديد الذي هو أورشليم، كل هذا خارج من عرش الله، نابع من عرش الله، يسقى السماء الجديدة والأرض الجديدة وفي رؤية مباشرة لله، لذلك نحن سنعيش في هذه الحياة الغير العادية التي سوف تمكننا من أن نرى الله وجهًا لوجه.

شكل جسد الدهر الآتي:

سُئل أحد الآباء مرة عما إذا كان الإنسان سيقوم في الدهر الآتي برجلين لكي يقف عليهما، فقال إن القدمين في الكتاب المقدس يشيران إلى الإرادة، والإنسان صاحب الإرادة الثابتة في الله، لا يحتاج إلى مكان لكي يقف عليه، لأنه سيقف على المحبة، والمحبة هي التي تحفظه في حضور الله. الوقوف يعني الثبات. الإرادة الإنسانية تحفظ الإنسان في المحبة وتعطي الإنسان أن يحب إلى الدرجة التي

تبقيه المحبة في حضـــرة الله دون أن يحتاج لقدمين ماديتين، وإنما الذي يعلقه ويحفظه هو المحبة، الأمر الذي يعني أن أعضاء الجسد المخلوق من العدم ليست هي وسيلة الحياة مع الله أو في الله.

أسوأ الأشياء هي التي يمكن أن نتعلمها من الجسد. الجسد محدود، له طول وعرض وما إليه. النفس غير محدودة بالأبعاد، وإنما محدودة بالقدرة والمعرفة، وبالرغم من أنها أصـلًا مخلوقة، لكن لا يجب أن نتعامل مع النفس كما نتعامل مع الجسد على أنها محدودة. المسافات عند النفس = صفر، والبُعد عند النفس = صفر، وإنما ما يجعل النفس محدودة هو ضعف الإرادة وعجزها، هو احتياجها الدائم لله، ولذلك وجود الإنسان في أورشليم السماوية ليس وجودًا جسدانيًا يُقاس بالطول والعرض، وإنما وجودٌ في حدود إمكانيات النفس؛ المعرفة التي تحتاج دائمًا للمزيد، والإرادة التي تحتاج إلى أن تثبت في الله، الأدراك الذي يحتاج للرؤيا. كل هذه صـفات النفس، ولذلك نحن الموجودون في أورشـليم السـمائية لا نحتاج إلى الوقوف على رجلين أو يدين أو أرض، إنما نحتاج إلى أن نثبت، حيث لا مسـافة، إنما حيث اهتمام ومحبة، فإدراك وثبات الإرادة في الله.

المسيح إلهنا يعطينا عفةً لكي يكون لنا مكان في المدينة السماوية أورشليم، لكي نشرب من ماء الحياة، وتكون معرفتنا يقينية، مشاهدة، أو حسب تعبير الأنبا غريغوريوس (المتنيح)، مكاشفة، نستطيع أن نرى ونتمتع.

المسـيح إلهنا يثبتنا فيه، ويحفظنا لنشـتاق لماءِ الحياة الأبدية، ونشـعر دائمًا بعدم كفاية ما فينا، لأننا مهما أخذنا سـيصـبح أمامنا الكثير، والكثير هو عمل الله الفائق الذي يهبنا إياه مِن عنده له كل مجد وكرامة من الآن والى الأبد آمين.

+ + +